للبلد الجديد الى أوهام طوباوية . ولذا فان تحديد ما سوف لن يكونه البلد الجديد وما لن يسمح به امر أسهل بكثير : أ ــ لن يكون البلد الجديد دولة عرقيـــة منغلقة جديدة للعرب ولن يسمح بانبعاث دولة يهودية جديدة . ب ــ لذا فان هـــذا البلد لن يسمح لتمييز عنصري بحكم الواقع أن يحل محل دولة يتم فيها التمييز العنصري بحكم القانون . جـ ــ لن يكون البلد الجديد ثيوقراطيا او اقطاعيا أو ارستقراطيا أو أمبرياليا أو قاعدة لأي قوة امبريالية . ولن يسمح بالتمييز على أساس اي شكل من اشكال القهر السياسي أو الاستغلال الاقتصادي .

غير ان المرء يستطيع استنتاج بعض الاوجه الايجابية من الاوجه السلبية ، فمثلا ستنقل تصفية المؤسسات الصهيونية العرقية الـــى الدولة الجديدة جزءا كبيرا مـــن الزراعة والصناعة الفلسطينية تملكه الآن المؤسسات الصهيونية بصورة جماعيـــة . وانتقال الموارد الاقتصادية هذا الى يد الدولة الجديدة سيخلق علاقات ووقائع اقتصادية جديدة وهذه تشير الى بعض الوجهات والاتجاهات في المستقبل . كذلك فان تدمير الارتباطات والاستثمارات الامبريالية سيخلق وقائع جديدة وسيدمج الاقتصـــاد الفلسطيني ضمن الاقتصاد العربي بعد التحرير .

ردود الفعل تجاه الدولة الديمقراطية

ادى طرح فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية الى ردود فعل هامة وفتح نقاشا داخل صفوف المقاومة الفلسطينية وبين الحركات الثورية العربية وبين اليهود في اسرائيـــل وخارجها . وسوف نحاول فيما يلي أن نعرض وجهات النظر المختلفة في الجانب العربي أولا ثم في الجانب اليهودي لعل عرضها ومناقشتها يؤدي الى مزيد من الوضوح والنضوج لمفهوم الدولة الديمقراطية .

ردود الفعل تجاه فلسطين الغد الديمقراطية في الجانب العربي : يتعين علي أن ابدأ هنا ، ذلك أن مدى جدارة الفكرة الجديدة بالثقة يعتمد الى حد بعيد على قبول مقترحيها ــ اي العرب ــ لها وفي النهاية على ايمانهم بها . فبيّنة الرفض الاسرائيلي لهذه الفكرة تعتمد ، كما سنرى ، على صرف النظر عنها بوصفها تكتيكا دعاويا يستخدمـــه الفلسطينيون والعرب بشكل عام لاستدرار تعاطف العالم مع مخططاتهم الشوفينية ، كما تعتمد على أن الفلسطينيين والعرب يكذبون ولا يعنون حقا ما يقولون ، أو انهم أجبروا على ذلك نتيجة هزائمهم . لقد رفض الناطقون باسم المقاومة هذا المفهوم في عدة مناسبات ، وأعادوا التأكيد على أن هذه الرؤيا الجديدة أساس لاستراتيجية جديدة وليست تكتيكا . وبالاضافة الى ذلك لم يتخل الفلسطينيون عن هذه الفكرة الا في سنوات النفي والهزيمة واليأس (١٩٤٨ ــ ١٩٦٨) ، وكانت عودة هذه الفكرة للظهور نتيجة انبعاث الامل بعد العام ١٩٦٨ .

غير أن على المرء ان يعرض الصعوبات التي تلاقيها هذه الفكرة بين الفلسطينيين بشكل خاص والعرب على وجه العموم بكل أمانة وصراحة حتى يمكن مناقشتها بموضوعية :

١ ــ هناك من لم يقبلوا هذه الفكرة اطلاقا ولا يزالوا يرفضونها على اعتبار أنها تنازل كامل للعدو او تكتيك دعاوي مفيد . تتهم مقالة ظهرت في جريدة « الحياة » البيروتية اليومية اليساريين العرب الذين يدافعون عن هذه الفكرة بأنهم عملاء للعدو(١٣) . وتدعي المقالة انها تكشف عن الجذور التلمودية لأفكارهم وتردد الحيلة اللاسامية القديمة ، حيلة ربط الصهيونية بمؤامرة شيوعية عالمية ، وهذه فرية يمينية غربية الاسلوب لاسامية نموذجية تعتمد كثيرا على الدعاية النازية . ان العرب الذين قبلوا دون تفكير متزن المنحى الصهيوني للمسالة اليهودية فأصبحوا يعتقدون ان المسالة الفلسطينية ظاهرة دينية لا ظاهرة كولونيالية ــ استيطانية ، ان هؤلاء أناس يصعب تغييرهم .

قد يبدو للمراقبين الخارجيين أمرا متناقضا أن يكون المقاتلون وعلى الاخص الاشبال